وغير شهادة الارض التي كان عليها وعليه وغير شهادة رسوله والمومنين فان الله سبحانه يستشهد على العبد
الحفظة والانبيا والامكنة التي عملوا عليها الخير والشر والجلود التي عصوه بها ولا يحكم بينهم بمجرد العلم
وهو اعدل العادلين واحكم الحاكمين ولهذا اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحكم بين الناس بما سمعه من
اقرارهم والبينة لا بمجرد علمه فكيف يسوغ لحاكم ان يحكم بمجرد علمه من غير بينة ولا اقرار ثم اخبر سبحانه ان الانسان
في غفلة من هذا الشان الذي هو حقيق بان لا يغفل عنه وان لا يزال على ذكره وباله وقال في غفلة من هذا
ولم يقل عنه كما قال وانهم لفي شك منه ولم يقل في شك فيه وجا هذا في المصدر وان لم يجي في الفعل فلا يقال
غفلت منه ولا شككت منه كان غفلته وشكه ابتدا منه فهو مبدا غفلته وشكه وهذا ابلغ من ان يقال
في غفلة عنه وشك فيه فانه جعل ما ينبغي ان يكون مبدا التذكر واليقين ومنشاهما مبدا الغفلة
والشك ثم اخبر ان غطا الغفلة والذهول يكشف عنه ذلك اليوم كما يكشف غطا النوم عن القلب
فيستيقظ وعن العين فتنفتح فنسبة كشف هذا الغطا عن العبد عند المعاينة كنسبة كشف غطا النوم عنه
عند الانتباه الى هنا من غير الاصل وقوله وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد يقول
تعالى وجاءت ايها الانسان فالصحيح ان المخاطب بذلك الانسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل
غير ذلك وقال ابو بكر ابن ابي الدنيا ثنا ابراهيم ابن ابي الحجاج ثنا سهيل ابا عباد ابن عباد عن محمد ابن عمرو
ابن علقمة عن ابيه عن جده علقمة ابن وقاص ان عائشة قالت حضرت ابي وهو يموت وانا جالسة عند
راسه فاخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر * من لا يزال دمعه مقنعا * فانه لا بد مرة مدفوق
قالت فرفع راسه فقال يا بنية ليس كذلك ولكن كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
منه تحيد وحدثنا خلف ابن هشام ثنا ابو شهاب الخياط عن اسمعيل ابن ابي خالد عن البهي قال لما ان
ثقل ابو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت * لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى *
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر * فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقد اوردت هذا الاثر طرقا كثيرة في سيرة الصديق
عند وفاته رضي الله عنه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما تغشاه الموت
جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول سبحان الله ان للموت لسكرات وقوله ونفخ في الصور ذلك
يوم الوعيد قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور للفزع والصعق والبعث وذلك يوم
القيمة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن
وحنى جبهته وانتظر ان يوذن له قالوا يا رسول الله كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل
وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد اي ملك يسوقه الى المحشر وملك يشهد عليه باعماله هذا هو الظاهر
من الاية الكريمة وهو اختيار ابن جرير ثم روي من حديث اسمعيل ابن ابي خالد عن يحيى ابن رافع مولى
لثقيف قال سمعت عثمان ابن عفان يخطب فقرا هذه الاية وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد فقال
سايق يسوقها الى الله وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد وقال مطرف عن
ابي جعفر مولى اشجع عن ابي هريرة السايق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدي وقال العوفي عن

ابن عباس

ابن عباس السايق من الملايكة والشهيد الانسان نفسه يشهد على نفسه وبه قال الضحاك ابن مزاحم
ايضا وحكى ابن جرير ثلاثة اقوال في المراد بذلك الخطاب في قوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاك فبصرك اليوم حديد احدها ان المراد بذلك الكافر رواه علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس وبه
يقول الضحاك ابن مزاحم وصالح ابن كيسان والثاني ان المراد بذلك كل احد من بر وفاجر لان الاخرة
بالنسبة الى الدنيا كاليقظة والدنيا كمنام وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين ابن عبد الله عن
ابن عباس والثالث ان المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وبه يقول زيد ابن اسلم وابنه والمعنى
على قولهما لقد كنت في غفلة من هذا القران قبل ان يوحى اليك فكشفنا عنك غطاك بانزاله اليك فبصرك اليوم
حديد والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الانسان من حيث هو والمراد بقوله لقد كنت
في غفلة من هذا اي من هذا اليوم فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد اي قوي لان كل احد يوم
القيمة يكون مستبصرا حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيمة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك قال
الله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وقال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رووسهم عند ربهم ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم
كل كفار عنيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله
الها آخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد
قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم انه يشهد عليه يوم القيمة بما فعل ويقول هذا
ما لدي عتيد اي معد محضر بلا زيادة ولا نقصان وقال مجاهد هذا كلام الملك السايق يقول
هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد احضرته وقد اختار ابن جرير انه يعم السايق والشهيد وله
اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول القيا في جهنم كل كفار عنيد
وقد اختلف النحاة في قوله القيا فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية
كما روي عن الحجاج انه قال يا حرسي اضربا عنقه ومما انشد ابن جرير على هذه اللغة قول الشاعر
فان تزجراني يا ابن عفان انزجر * وان تتركاني احم عرضا ممنعا * وقيل بل هي نون التوكيد سهلت
الى الالف وهذا بعيد لان هذا انما يكون في الوقف والظاهر انها مخاطبة مع السايق والشهيد
فالسايق احضره الى عرصة الحساب فلما ادى الشهيد عليه امرهما الله بالقايه في نار جهنم وبيس
المصير القيا في جهنم كل كفار عنيد اي كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له
بالباطل مع علمه بذلك مناع للخير اي لا يودي ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة
معتد اي فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد وقال قتادة معتد في منطقه وسيرته وامره مريب
اي شاك في امره مريب لمن نظر في امره الذي جعل مع الله الها آخر اي اشرك
بالله فعبد معه غيره فالقياه في العذاب الشديد وقد تقدم في الحديث ان عنقا من النار يبرز للخلايق
فينادي بصوت يسمع الخلايق اني وكلت بثلاثة بكل جبار ومن جعل مع الله الها آخر وبالمصورين ثم تلوي عليهم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)